الإختيار من وجهة نظر الإنسانوية والإسلام

- دراسة مقارنة -

فاطمه جوكار
أستاذة في الحوزة، طالبة في جامعة طهران وطالبة في المستوى الرابع في التفسير المقارن، في الحوزة العلمية للسيدة خديجة (س) في بابل، إيران
هادي رزاقي هريكنده ئي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، جامعة نوشيرواني الصناعية، بابل، إيران
razaghi@nit.ac.ir

Free will from the point of view of humanism and Islam

- A comparative study -

Fatemeh Jokar
A professor at the seminary , a student at the University of Tehran and a fourth - level student in comparative interpretation , at the seminary of Mrs. Khadija (S) in Babol , Iran
Hadi Razzaqi Harikandei (Responsible writer)
Associate Professor at Noshirvani Industrial University , Babol , Iran

الملخص:-

على عكس الأديان السماوية، فإنّ مدرسة الإنسانوية هي إحدى المدارس التي تضع الاختيار حول الإنسان وتعتبر إرادة الإنسان هي محور كل الأمور. في هذه المدرسة ينبغي تعديل كل من نظام التنمية ونظام التشريع حسب رغبات الإنسان وحاجاته، في هذا الأمر ينبغي للإنسان أن يثق في نفسه وعقله وإنجازه المعرفي فقط، ولا يحتاج إلى كائن ما وراءه في حين تعتبر الأديان السماوية أنّ محور كل الأمور، بما فيها الاختيار، عند الله تعالى. قد كتب هذا البحث من خلال دراسة العديد من الكتب والبحوث والمصادر ذات الصلة، علي ضوء المنهج الوصفي - التحليلي وقام بمقارنة قضية اختيار الإنسان في الإسلام ومدرسة الإنسانوية. تدل النتائج علي أنّ الإنسانوية، على عكس الإسلام، تؤمن بالأشياء التالية: الاختيار دون عالم الغيب، معارضة الاختيار للدين، الاختيار مع الحرية اللامحدودة، والاختيار والقانون المطلق، والاختيار والعقل النظري الذي يدور حول مركزية الإنسان بينما يعتبر القرآن الاختيار مبني على معايير مركزية حول الله. في هذه الحالة فإن الأمور التشريعية في هذا العالم ستأخذ مجراها الطبيعي في ظل الأمور التكوينية التي قررها الله للإنسان.

الكلمات المفتاحية: الإنسانوية، الإسلام، الاختيار، العقل، الوحي، الحرية.

Abstract:-

Unlike the heavenly religions, the school of humanism is one of the schools that places Free will around humans and considers the human will to be the center of all matters. In this school, both the development system and the legislative system should be modified according to human desires and needs. In this matter, a person should trust only himself, his mind, and his cognitive achievement, and does not need a being beyond him while the heavenly religions consider that the focus of all matters, including choice, lies with God. This research was written by studying many books, research, and related sources, in light of the descriptive-analytical approach, and it compared the issue of human choice in Islam and the school of humanism. The results indicate that humanism, unlike Islam, believes in the following things: Free will without the unseen world, opposition of Free will to religion, Free will with unlimited freedom, Free will and absolute law, Free will and theoretical reason revolving around the centrality of the human being. While the Qur'an considers choice based on God-centered criteria. In this case, the legislative matters in this world will take their natural course in light of the formative matters that God has decided for man.

Key words: humanism, Islam, Free will, reason, revelation, freedom.

١. المقدمة:ـ

رأى الإنسانيون أنّ للإنسان حق الاختيار في جميع أمور الكون؛ أي أنه يتمتع بحرية غير محدودة، ويقدم "الإنسان" كمحور لتحديد المبادئ القيمية. خلقت نظرة الإنسانية هذه اليوم سياقًا يتعارض في الواقع مع البحث عن الله وجميع القيم الإلهية والدينية؛ لأنه من وجهة نظر الدين، ليس من حق الإنسان أن يحدد المبادئ القيمية في هذا العالم، بل الله هو من يحددها ويبلغ عن طريق النبي ﷺ ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى السعادة إلا من خلال تحقيق تلك المبادئ القيمية ومن حق كل إنسان أن يميل إلى ما وصل إليه كمبدأ قيمي. الإيمان بمثل هذه المدرسة بهذا التفكير يمكن أن يؤدي إلى أضرار كبيرة، بما في ذلك تضليل الناس، وبما أنّ القرآن وصف الإنسان بالصفات المذمومة كالهلوع والجشع والعجول والضعيف لذلك، لا يمكن اعتبار اختيار الإنسان وحده هو الأساس لتحقيق الهدف الرئيسي للخلق، ولكن لتحقيق الكمال، بالإضافة إلى الاختيار، يحتاج إلى أدلة مثل الشرع والوحي والعقل لكيلا يضلل لذلك فإنّ هذه القضية مهمة جداً ويسعي المؤلف إلى دراستها.

١-١. خلفية البحث

فيما يتعلق بمسألة اختيار الإنسان في المقارنة بين المدارس الإنسانوية والإسلامية، فقد تمت كتابة الكتب والمقالات بشكل مباشر وغير مباشر. بما في ذلك الكتب التالية:

- ابراهيميان، حسين (١٣٨١). انسان شناسي (اسلام-اگزيستانسياليسم-اومانيسم). / علم دراسة الإنسان (الإسلام، والوجودية والإنسانوية) تهران: پژوهشكده فرهنگ و معارف.
- سبحاني، جعفر (١٣٨٧). جبر و اختيار. قم: مؤسسه امام صادق عليه السلام.
- صانع‌پور، مريم (١٣٧٨). نقدي بر معرفت‌شناسي اومانيستي. (نقد علي علم دراسة الإنسانوية) تهران: انتشارات موسسه فرهنگ وانديشه معاصر.
- باقي زاده، رضا (١٣٩٠). علم پيشين الهي و اختيار انسان. (المعرفة الإلهية المسبقة واختيار الإنسان) قم: بوستان كتاب.

بالإضافة إلى ذلك فقد تم كتابة مقالات في هذا المجال مثل:

- صانع پور مريم (١٣٨٤). اومانيسم و حق گرايي. (الإنسانوية والحق) نشريه علوم سياسي، ج ٨، العدد ٢٩.
- سيد هاشمي، سيد محمد اسماعيل و موسوي خو، سيدصفي اله (١٣٩٠). ارادة الهي و نسبت آن با اختيار انسان از ديدگاه امام خميني ره. (الإرادة الإلهية وعلاقتها باختيار الإنسان من وجهة نظر الإمام الخميني (ره) مجله آينه معرفت، ج ٩، العدد ٢٩.
- ابو ترابي، محمود و موسوي، سيده مريم (١٣٩٤). رابطه ميان عقل و دين از منظر قرآن و روايات. (العلاقة بين العقل والدين من وجهة نظر القرآن والأحاديث) مجلة الهيات قرآني نصف سنوية، ج ٣، العدد ٥.
- نيك سرشت، پروين و طباطبايي، فاطمه (١٣٩٦). تحليل و بررسي پيامدهاي اومانيسم از ديدگاه علامه طباطبايي با تكيه بر تفسير الميزان. (دراسة نتائج الإنسانوية وتحليلها من وجهة نظر العلامة الطباطبائي على أساس تفسير الميزان) مجلة "مطالعات قرآني" الفصلية، ج ٨، العدد ٣٢، ص ٥٩ - ٩٤.
- طاهري سلطاني، فاطمه و افشار كرماني، عزيزالله (١٣٩٨). اختيار انسان از منظر فخر رازي و محمدحسين طباطبايي. (اختيار الإنسان من وجهة نظر فخر الرازي ومحمد حسين الطباطبائي) پژوهشنامه اماميه، ج ٥، العدد ١٠، ص ١٧٨ -١٩٧.
- يوسفي مقدم، محمدصادق و غرسبان، مرتضي (١٤٠١). آسيب‌شناسي مؤلفه‌هاي دين‌گريزي اومانيسم در تفكر ديني. (علم دراسة المكونات الإلحادية لمدرسة الإنسانوية في الفكر الديني، فصلية النقد والنظر، ج ٢٧، العدد ٣ (١٠٧المتتابع)، ص ١٤٩ - ١٧٥.

لكن فيما يتعلق بموضوع "الاختيار في نظر الإنسانوية والإسلام، دراسة مقارنة"، لم يجد المؤلفون بحثاً مستقلاً. من ثَمّ، فقد قام هذا البحث بالمقارنة بين اختيار الإنسان من وجهة نظر الإنسانوية والإسلام مستعيناً بالمقالات ذات الصلة.

١-٢. الإطار النظري

إنّ إحدى الكلمات الأكثر استخداماً في هذا البحث هي الاختيار. لهذا السبب لا بد من دراسة هذه الكلمة لغة واصطلاحاً.

١-٢-١. مفهوم الاختيار

«اخْتِيار» أي: إرادة الخير وطلب ما فيه الخير، وفعل الخير أيضًا، ويقال عن شيء يراه الإنسان ويعرفه خيراً، وإن لم يكن خيراً في الحقيقة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الدخان، ٣٢). فإذا كان "اخْتَرْنَاهُمْ" في هذه الآية إشارة إلى حسن خلقهم من الله تعالى فهو صحيح، وإذا كان إشارة إلى أفضليتهم على غيرهم فهو صحيح أيضاً. في عرف أهل الكلام (المتكلفين) تطلق كلمة (مُختَار) على كل فعل يفعله الإنسان لا عن إكراه بل عن رغبة[1]. كما يقال: هو مُخْتَار فى كذا- الغرض من هذه العبارة ليس ما يقال: فلان له اخْتِيَار-؛ لأنّ الاختيار في المعني الأخير هو أخذ شيء يراه المختار خيراً وهذا عكس ما يراه المتكلمين. يستخدم المختار كالاسم الفاعل والمفعول معاً. (الراغب الأصفهاني، ١٣٧٤: ٦٤٤ و ٦٤٥).

قال العلامة مصباح في تعريف الاختيار: «تعريفنا لاختيار الإنسان هو أنّ له عوامل جذب داخلية مختلفة يمكنه أن يفضل إحداها على الأخرى بنشاطه الداخلي واختياره، وهذا الاختيار هو معيار التكليف. حيثما لم يكن تكليف، فهو دليل على عدم وجود مثل هذا الاختيار؛ على الرغم من وجود اخيار بمعنى آخر.(مصباح، ١٣٩٣: ٣٧٣).

يستخدم بعض الفلاسفة والمتكلمين كلمة "الاختيار" مرادفاً لكلمة "الإرادة" ويطلقونها على الإرادة. لكن أغلب الفلاسفة والمتكلمين يفرقون بين الإرادة والاختيار ويعتبرون الختيار أخص من الإرادة؛ هذا يعني أنهم يفسرون الإرادة على أنها "صفة مخصّصة" أو "صفة مرجّحة" ويعتبرون الاختيار بمثابة "فعل الاختيار" (العلامه الحلي، ١٣٩٩ق: ٢٢٣و ٢٢٤؛ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، ١٩٨١م: ٨١).

لذلك يمكن أن يقال: "الاختيار" يعني تفضيل شيء على شيء، أو تقديم شيء على شيء (تهانوي و همكاران، ١٩٩٦م: ٤١٩) و"الإرادة" هي الاختيار الحر لشيء ما من بين شيئين أو أكثر (احمد نگري، ١٣٩٥ق: ٥٨). على هذا الأساس فإنّ الملا صدرا يعتبر

المختار من يكون فعله بإرادته (ملا صدرا، ١٩٨١م: ٣٨٨). لذلك يبدو أنّ المراد من "الاختيار" هو حرية الإرادة.

٢. عناصر الاختيار بين الإنسانوية والإسلام

فقد وضعت مدرسة الإنسانوية من وجهة نظرها، مكونات في مسألة الاختيار الإنساني، دون اعتبار الله مصدر الكون الذي يحيط بالاختيار البشري. إنّ هذه العناصر جعلت الإنسان يضع نفسه مقياساً لكل شيء في هذه الدنيا، ولا يرى جميع المبادئ القيمية من جهة المعرفة المطلقة، أي خالقه. وبهذه الطريقة في التفكير، أعطى لنفسه حرية بلا حدود، ودون التزام، والحق المطلق في التشريع بالعقل فقط وروّجها في كافة المجتمعات البشرية، وهو ما سنتناوله بالتفصيل لاحقاً.

٢-١. اختيار بدون عالم الغيب

تعتبر الإنسانوية أنّ للإنسان حق في الاختيار ووتراه كائنا مختاراً يحدد مصيره بنفسه، وبهذه الطريقة، من ناحية، ترى أنّ الإنسان هو نفسه مسؤول عن مصائبه ومتاعبه، ولا يمكن أن نضع مسؤولية المشاكل علي عاتق الآخرين ومن ناحية أخرى تقول إنّ الإنسان باختياره يستطيع أن يحسّن موقعه مما هو فيه ويجب ألا ينتظر أن يأتي يداً من الغيب ويفعل فعلاً ما (نيك سرشت و طباطبايي، ١٣٩٦: ٦٨).

من وجهة نظر الإسلام، خلق الله الإنسان كائنًا مختاراً، وبهذه الهبة الإلهية يستطيع الإنسان أن يخطو نحو الخير أو الشر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان/٣). يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: الهداية بمعنى إراءة الطريق دون الإيصال إلى المطلوب والمراد بالسبيل السبيل بحقيقة معنى الكلمة وهو المؤدي إلى الغاية المطلوبة وهو سبيل الحق (الطباطبايي، ١٣٧٤: ١٩٥).

لذلك فإن وجود الاختيار عند الإنسان هو لتحقيق الحق، في حين اعتبرت الإنسانوية الاختيار مبنياً على محورية الإنسان وذكرت أنّ مركز كل الأشياء ومقياسها هو الإنسان؛ بمعنى أنه لا حقيقة إلا إنسان يدرك الأشياء بحواسه. من ناحية أخرى، «فإن التعقّل يقوم أيضًا على المدركات الحسية، ويختلف إدراك الحواس باختلاف الأشخاص. لذلك، ليس

هناك اختيار آخر سوى قبول ما يشعر به الجميع على أنه صحيح؛ ولهذا السبب يجب علينا أن نعتبر العقل البشري هو المقياس لكل الأمور» (فروغي، ١٣٤٤: ١٤). لهذا اقترحت أنه بهذه السلطة يمكن للإنسان أن يحسن حاله عما هو عليه، وبهذه الطريقة لا ينبغي له أن يتوقع الأمور الغيبية. في الواقع فإن هذا الاختيار خارج عن نطاق الحقيقة. والقرآن ينهاه؛ لأن الإنسان في هذا الفكر يحلّ محل الله ويقع مركز كل القيم، والحقوق والقانون هو شيء يفرضه الإنسان على أساس رغبته (دورانت، ١٣٩٨: ٢٠٣). بينما الحقوق والقانون في الإسلام مبني على محور الحق، وهو كله من نعم الله التي وهبها للإنسان في هذه الدنيا. وهذه النعمة ستحدث أحيانًا للبشر بشكل غير مرئي من خلال رسل خارجيين، أي الأنبياء، لأن الأناس الكاملين هم وسطاء الفيض الإلهي.

لذلك، بهذا التفكير، حددت الإنسانوية اختيار الإنسان بالحواس المادية؛ في حالة أن الاختيار أوسع وأرحب في طريق الإسلام، الذي يشمل الأمور المادية والروحية، وهذا سيتحقق خلال الإرادة الإلهية، لكن الإنسانوية تنفي ذلك؛ لأنّ قواها تدور حول الرغبات النفسانية، فتكون خارجة عن نطاق الحق والعدل. لذلك أعطاه الله الحرية بالإضافة إلى اختياره، حتى يجد، بفضل وجود العقل والحرية، الاستحقاق لتحمل المسؤولية وحق الثواب والعقاب بعد البيان وتقديم الدليل (مغنيه، ١٣٧٨: ٧٩٨).

٢-٢. تنافي الاختيار مع الدين

إن الموقف السلبي لمدرسة الإنسانوية تجاه الدين، الذي يعتبره برنامجا إلزاميا للإنسان المبني على الوحي، أدى إلى خلق فكرة تنافي الاختيار مع الدين. هذا السبب يحرم الإنسان من موهبة الوحي.

فالإنسان في مدرسة الإسلام كائن ذو حكمة ويتمتع بالحرية والاختيار. يقول الله: «من عمل صالحاً فلنفسه و من اساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون» (الجاثيه، ١٥) من عمل مِن عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى، ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم. إن ضرورة تحمل المسؤولية عن أفعاله هي علامة على الاختيار؛ لأنّ المسؤولية لا معنى لها بدون الاختيار. يقول في مكان آخر: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال، ٢٢) إنَّ شر ما دبَّ على الأرض -

مِن خَلْق الله- عند الله الصمُّ الذين انسدَّت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خَرِست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهي؛ لأنّ الله أعطى الناس العقل والمنطق لاستخدام اختيارهم وحل مشاكلهم.

سبب نزول الوحي هو أنّ الإنسان بما أنه كائن اجتماعي ولا يستطيع وحده أن يتكفل بحياته بشكل كامل، بل ينبغي أن يحسن حياته بمساعدة أشخاص آخرين من نوعه؛ لذلك، من أجل إدارة العلاقات الإنسانية وضبطها ومن ناحية لمنع صراع وسيطرة البعض على البعض الآخر كالفراعنة والطواغيت، فإذا لم تكن هناك خطة وقانون شامل من الله الذي هو خالق الإنسان وجميع مخلوقات العالم، الله الذي ﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد، ٣) من خلال الوحي وإرسال الأنبياء للحكم بين البشر؛ تصبح النفس والرغبات الحيوانية مهيمنة لدرجة أنه بالإضافة إلى فساد اتجاهها الروحي، فإنها أيضًا ستقع في الفساد الأخلاقي والسلوكي، ونتيجة لذلك، ستدمر روحها وجسدها. لهذا السبب فإن وجود الدين ضروري بجانب الاختيار. بمعنى آخر، إذا ترك الله البشر على هواهم، دون مرشد، فسيكون ذلك مخالفة للهدف؛ لأنّ غاية خلق الإنسان هي تحقيق السعادة المادية والروحية، في حين أنه لا يمكن للبشرية أن تجد طريق السعادة دون هداية الله وإقامة شرعه (نصرت بيگم، بيتا: ٢٧٤).

لذلك فإن الوحي يهدي الطريق الصحيح من خلال إرسال الرسل وبصورة الأديان السماوية من خالق الإنسان في الحالات التي لا يستطيع فيها العقل والمنطق المحدود للإنسان أن يميز مصالحه ومفاسده.لذلك يستطيع الإنسان في مدرسة الإسلام أن يختار طريق الدين وعبادة الله باختياره الأسمى، ويصل إلى أسمى الفضائل الإنسانية من خلال التقوى والتقوى وعبادة الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، ١٣)، يا أيها الناس إنّا خلقناكم من أب واحد هو آدم، وأُم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل شعوبًا وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضًا، إن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاءً له. إن الله عليم بالمتقين، خبير بهم كما أنّه يمكن أن يفتح لهم الطريق لترك الدين والكفر والفساد الأخلاقي والانحطاط الروحي: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان، ٣)، (ابراهيم زاده آملي، ١٣٨٦: ٥٨و ٥٩).

٢-٣. الاختيار والحرية اللا محدودة

من وجهة النظر الإنسانوية فإنّ اختيار الإنسان هي في خدمة الحرية غير المحدودة، أي أنهم يقولون إنّ الإنسان يستطيع أن يفعل ما يريد ولا يحق لأحد أن يوقف رغباته. بمعنى آخر، الإنسان لا حدود له. يرى الإنسانويون أن الدعوة إلى الأنظمة الفلسفية المغلقة والمبادئ والمعتقدات الدينية والحجج المجردة في القيم الإنسانية أمر خاطئ، ويجب على الإنسان أن يختبر الحرية بنفسه ويكون مؤهلا تماما لإحداث التغيير والتحسين في حياته الشخصية والاجتماعية (ديويس، توني، ١٣٧٨: ٤٤و ٤٥).

لقد ذكر الإنسانويون عن الحرية أنّ الإنسان خلق حراً ولا يحق لأحد أو مؤسسة أن يرغمه حتى بالألقاب المقدسة ويرون أنّ قيمة الإنسان تكمن في عقله وحريته وهو محور كل الأمور. في الواقع، وفقًا للإنسانويين، فإن الحرية هي نتيجة جهود الإنسان في الطبيعة والمجتمع أي أن الإنسان يجب أن يختبر الحرية في الطبيعة والمجتمع، ويحتاج إلى الحرية المطلقة لبناء عالم جديد؛ الحرية التي هي نتاج جهد الإنسان، وليست قوة خارقة للطبيعة. ويؤكد معظم الإنسانويين على الحريات الفردية والمدنية والفكرية ويعتبرون الإنسان حرا مطلقاً. إنّهم يدينون العوائق أمام الحرية ويقولون إنّ ما يسمى بالدين والأخلاق والعادات والدين لا ينبغي أن يشوه حرية الإنسان. في الواقع، رؤية الإنسانويين هي أكثر على الجانب الخارجي للحرية (بهنام فر و روشان، ١٣٩٨: ١٨٣-١٩٢).

من وجهة نظر الإسلام، للإنسان حق في الحرية أيضاً، ولا يحق لأحد أن يحرمه من هذا الحق (صبحي الصالح، ١٤٢٥ق: ٤٠١). تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الحرية لها أطر على شكل قوانين تشريعية، والإنسان حر في الالتزام بالقوانين التشريعية، ولا يوجد إكراه هنا. من أراد السعادة والرخاء فليتبع هذه الأوامر، وإذا لم يرد فيستطيع أن يتركها. إن الإنسان له اختيار وحرية، فإذا قام بإجراء الشرائع الإلهية والشرعية وصل إلى القرب الإلهي والسعادة في الدنيا والآخرة، وإذا لم يفعل وعصي سقط إلى أسفل السافلين وأدنى مرتبة من الحيوانات مثل أوامر الطبيب، حيث للمريض اختيار في اتباع أوامر الطبيب أم لا، لكن إذا أراد أن يتمتع بالصحة، عليه أن يفعلها.

يستطيع الإنسان بمساعدة حريته أن يحسّنها بحسب المواهب التي خبأها الله في كيانه،

ويقع علي مسير السعادة في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى في الآية ٢٥٦ من سورة البقرة: «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» أي لا إجبار في اعتناق دين الإسلام والإيمان أي يجب ألا يرغم أحداً ما في الاعتناق بالإسلام. لأنّ الإكراه يعني إلزام الغير بما لا رغبة فيه له وهو مضاد لما يهدف الله إليه وينافي التكليف ويؤدّي إلى إلغاء الثواب والعقاب. لذلك، في الإسلام والإيمان، لن تكون إلزامية، بل هي اختيار. ولكن عندما يختار الإنسان الإسلام بمحض إرادته ويدخل في باب الإيمان، فإن حريته تقتصر على إطار الإيمان. وهذا صحيح في جميع الحالات. على سبيل المثال، اختيار الفرع الدراسي والدخول في الجامعة أمر اختياري، ولكن بمجرد دخول الشخص فإن حرياته تقتصر على إطار قواعد تلك الجامعة.

في الإسلام، رغم أن الإنسان حر وله حقوق، إلا أنّ عليه واجبات ومسؤوليات أيضًا، وعليه القيام بها كمسلم ومؤمن (ابراهيم زاده آملي، ١٣٨٦: ٥٩). لذلك عندما نؤمن أنّ الله هو خالق السماء والأرض وما بينهما ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الفرقان: ٥٩) فبالتالي ينبغي أن يكون هو المحدد لحدود الاختيار والحرية التي تتعلق بشؤون الحياة في هذا العالم للإنسان أيضاً.

٢-٤. الاختيار ووضع القانون المطلق

في نظر الإنسانويين، يستطيع الإنسان باختياره وحريته غير المحدودة أن يضع وينظم القانون بناءً على رغباته وحاجاته في العيش في هذه الدنيا لخدمة روحه ورغبته، فالإنسان هو خالق أخلاقه وما هو أصل في هذا الموقف فهو رغبات الإنسان وملذاته، وإذا كان الدين معتبراً فلا بد أن يتوافق وينسجم مع رغبات الإنسان. فالحقوق والقانون هنا شيء يفرضه الإنسان بناء على رغبته. في الواقع، انطلاقاً من النظرة الإنسانوية، فإن الإنسان قادر على تصميم بيئته وحياته بشكل مستقل. فالإنسان قادر على صياغة القانون الشرعي والأخلاقي للإنسان ومجتمعه، بل ينبغي القول إنّ أساس الشؤون الأخلاقية والقانونية متأصل في الإنسان نفسه وأساسها هو الإنسان نفسه (حسني، ١٣٩٢: ١٣٣).

هم يعتقدون أنّ العقل البشري والحكمة يساوي حكمة الله، وبالتالي لديه القوة والقدرة اللازمة لحكم النظام البشري والسيطرة عليه (رشيدي، ٢٠٠٩: ١٣٧).

على هذا فليس لله الحق أن يتدخل في وضع القوانين على البشر، بل إن الله وحده هو خالق البشر وهذا العالم وقد ترك إدارة شؤون البشرية لأنفسهم، لذلك، فإنهم لا يعتبرون أن الله له أي سيطرة على شؤون حياة الإنسان. لذا يري الإنسانويون أنّ الحقوق الفردية والاجتماعية تبدأ بالإنسان وتنتهي به. في الحقيقة أنّ الإنسان نفسه هو خالق القانون لنفسه، أي أنّ ما هو أصل في موقفهم هو رغبات الإنسان وملذاته، وجميع الحقوق والقوانين يجب أن تتأسس حول إرادة الإنسان، فأساس التشريع هو إرادة الإنسان.

إن حل نيتشه للقضاء على مصائب الإنسان هو الإيمان بـ«الإرادة الموجهة إلى السلطة» وإعادة تقييم كل القيم و«الإنسان الأعلى». إنه يعتقد أنّ الإنسان الأعلى هو الشخص الذي يعرف محنة البشرية. إنّه يخلق قيمه الخاصة ويبني عليها حياته. (براون، ١٣٧٥: ١٣٩)

في حين أنّ الإسلام، على عكس الإنسانوية، ينص على أن اختيار الإنسان تم خلقه ضمن حدود قوانين التكوين ويجب أن يخطو على هذا المسار تكوينياً. من وجهة نظر الإسلام، فقد خلق الإنسان في إطار قوانين التكوين والنظام العلي والمعلولي. ليست الشرائع الإلهية مجرد صلاحية واتفاق بدون أصل حقيقي وغير قابل للتحديد، ولكنها متجذرة في المصالح الحقيقية للبشر وفسادهم وترتبط بحياتهم الأبدية وإذا لم يتبعوها، فسوف يعانون من الهلاك الأبدي، واتباعها سيؤدي إلى السعادة الأبدية. في حين أنّ البشر، سواء كانوا فرادى أو مجتمعين، لا يملكون الكفاءة العلمية اللازمة والكافية والشروط اللازمة لوضع مثل هذه القوانين، لأنّهم يتعرضون باستمرار للخطأ والنسيان والزلل والمصالح الذاتية. هذه القوانين يجب أن يضعها من هو عالم بكل شؤون الحياة البشرية وصفات الخلق كافة، ولا تدع أي زلة أو خطأ تجد طريقها إليه، فالله وحده أو أولئك الذين يقدمهم هم الذين يستطيعون وضع القانون الصحيح (مصباح يزدي، ١٣٩٤: ١٣٦). من ناحية أخرى، إذا بنينا قوانين المجتمع وإدارته على رغبات الناس، لاختلاف رغبات الناس وأذواقهم، فإنه لا يمكن التوصل إلى قانون وطريقة إدارة ثابتة وموحدة.

٢-٥. الاختيار والعقل

من النعم التي وهبها الله للبشر، والتي يستطيع أن يستخدمها باختياره، هي وجود العقل. يرى الإنسانويون أنه لا سلطة للحكم إلا العقل البشري، وأنّ الإنسان يستطيع أن

يتعرف ويختار الأشياء التي يريدها من خلال عقله. أي أنه يعترف بكل القوانين الضرورية في حياته بقوة العقل وتتأسس هذه القوانين لمصلحته ويعتقدون أنّ الحكمة البشرية تعادل حكمة الله وربما أعلى منها ويتولى العقل البشري قيادة البشرية، ويخرج الدين من الأمر والهداية. العقل الإنساني مؤسس ذاتيًا ولا يحتاج إلى الوحي. (صانع پور، ١٣٧٨: ١٩- ٢٢)

يري الإنسانويون أنّ العقل البشري كافٍ للحصول على حياة طيبة؛ لأنّ العقل وحده يستطيع أن يدعو إلى سبيل الحقّ ويسلك طريق الفضيلة والأخلاق، فبالتالي لا حاجة للأنبياء والوحي (نيك سرشت و طباطبايي، ١٣٩٦: ٨٠). يقول العلامة الطباطبائي رداً على ذلك إنّ العقل الذي يدعو الإنسان إلى الحق هو العقل العملي الذي يحكم بالحسن والقبح ويحدد لنا ما هو حسن وما هو قبيح وما هو قبيح، وليس العقل النظري الذي مهمته التعرف على حقيقة كل شيء (الطباطبايي، ١٣٧٤، ج ٢: ٢٢٢و ٢٢٣).

قال آية الله جوادي الآملي: في الإسلام، لا يقبل العقل كمصدر وحيد للمعرفة حول الدين والقضايا الدينية والدنيوية، ولا يعتبر باطلاً بشكل عام (جوادي آملي، ١٣٧٢: ١٢١). قال الإمام الصادق في العقل: «الْعَقْلُ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَ اكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ» (الحرالعاملي، ١٤١٤ق: ٤). لذلك فصحيح أنّ مصدر العقل والوحي كل منهما يمكّن الإنسان من المعرفة في العالم الخارجي، لكن يعتقد الإسلام أنّ هذين المصدرين بشكل توأمي يوصلان الإنسان إلى السعادة الأبدية، وليس وحده لأنّهما يكملان بعضهما البعض وهذان المصدران يسهلان على الإنسان أن يخطو في الاتجاه السامي ويختار الطريق الصحيح باختياره.

يعتبر العقل البشري، وهو من أسمى مواهب الله، أهم أداة للمعرفة الإنسانية. باستخدام العقل يفهم الإنسان أنّ مجال إدراكه لا يقتصر على حواسه. إنّ العقل البشري يفهم مفاهيم مثل "الأنا" و"الوجود" و"اللاوجود" وقضايا مثل "أنا موجود" و"مبدأ التناقض" وغيرها، والتي لها أسس ميتافيزيقية، دون استخدام الحواس وعلى أساسها تستنتج قضايا أخرى أيضاً، وتظهر علوم فكرية وميتافيزيقية لها أكثر صحة من الحواس.

بالاستعانة بالقضايا البديهية يثبت هذا العقل المبادئ الأساسية للدين مثل التوحيد والبعث ويقرر بكل تواضع أنه يجهل الأمور المتعلقة بالسعادة الأبدية والشقاء للإنسان ويحتاج إلى من يطلعه على هذه الأمور. إنّه يفهم بشكل صحيح موقف الإنسان أمام الله من

خلال الوصف الدقيق لصفات الله والإنسان. هذا لا يقتصر على دين معين. لكن الإنسانوية حرمت الإنسان من أهم العلوم وأكثرها حسما بتجاهلها أبعاد فهم العقل.

٣. النتيجة:ـ

في مفهوم كلمة "الاختيار" يجب القول: إنّه تفضيل أو تخصيص شيء على آخر، أو تقديم شيء على آخر، ولما كانت الإرادة هي اختيار شيء واحد من بين شيئين أو أكثر، من ثَمّ فالمختار هو من يقع فعله بإرادته، وبالتالي فإن الاختيار هو حرية الإرادة.

في مقارنة وجهة النظر الإنسانوية مع وجهة نظر الإسلام في مفهوم "الاختيار"، قمنا بدراسة المكونات التي تقوم عليها مدرسة الإنسانوية وتوصلنا إلى النتائج التالية:

لقد تم خلق الجهاز الإدراكي لدى الإنسان بحيث لا يملك القدرة على فهم كل أسرار الكون وتعقيداته. في الواقع، من خلال دراسة هذه القضية نجد أن الإنسان عندما يعتمد فقط على أفكاره الخاصة، لا يحرم من الخير فحسب، بل يجرّب حياة مليئة بالمعاناة وعدم الاستقرار والإحباط والاضطراب. لذلك فإن عمل الوحي وإرسال الرسل من الله هو تقديم الطريق الصحيح في صورة الأديان السماوية من خالق البشر في المواقف التي لا يستطيع فيها العقل البشري المحدود تمييز مصالحه ومفاسده. بينما تؤمن الإنسانوية بمسألة الاختيار والحرية المطلقة للإنسان دون تأثير الوحي ومجرد التجربة لكن مدرسة الإسلام ترفض هذا الرأي، وتؤكد بأسبابها العقلية والنقلية أنّ حرية الإنسان واختياره ليست بلا حدود، ولها أطر مبنية على خطة الله لسعادة البشرية المادية والروحية من خلال الوحي الذي وصل إلينا. لذلك فيما يتعلق بالتشريع، ونظراً لاختلاف رغبات البشر وأذواقهم، فإذا ترك الأمر لإرادة البشر، لا يمكن التوصل إلى قانون ثابت في النهاية، فلا يمكن للإنسان أن يكون مشرعاً مطلقاً في هذا العالم. في حين أن الله، وهو خالق الكون كله، بما في ذلك البشر، يستطيع أن يضع قوانين التكوين والتشريع حسب نوع خلق كل كائن. تجدر الإشارة إلى أنّ هذا لا يتعارض مع اختيار الإنسان وحريته، لأنه مثل كل الأمور مثل الذهاب إلى الطبيب أو القبول في الجامعة، فإن قبول هذه القوانين أمر اختياري للإنسان، ولكن عندما يقبلها باختياره فبالتالي يقتصر اختياره وحريته على إطار تلك القوانين.

هوامش البحث

(١) المختار ما يكون فعله بارادته، لا ما يكون ارادته، اسفار، ج ٣/ ٨٧- (نقلاً عن معجم اللغات الفلسفية ومصطلحاتها ص ٢٩٥ سيد جعفر سجادى).

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم، مترجم: مكارم شيرازي، ناصر.

١. ابراهيم زاده آملي، عبدالله (١٣٨٦). انسان در نگاه اسلام و اومانيسم. فصلنامه علمي پژوهشي قبسات، دوره ١٢، شماره ٤٤، ص ٥١ - ٧٠.

٢. ابراهيميان، حسين (١٣٨١). انسان شناسي (اسلام-اگزيستانسياليسم-اومانيسم). تهران: پژوهشكده فرهنگ و معارف.

٣. احمد نگري، عبدالنبي (١٣٩٥ق). جامع العلوم. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ج١.

٤. ابو ترابي، محمود و موسوي، سيده مريم (١٣٩٤). رابطه ميان عقل و دين از منظر قرآن و روايات. دوفصلنامه الهيات قرآني، دوره ٣، شماره ٥.

٥. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٩٨١م). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، محقق: عدنان درويش و محمد المصري. بيروت: الناشر مؤسسة الرسالة. ج ١.

٦. باقي زاده، رضا (١٣٩٠). علم پيشين الهي و اختيار انسان. قم: بوستان كتاب.

٧. براون، كالين (١٣٧٥). فلسفه و ايمان مسيحي، ترجمه: طه طاووس ميكائيليان. تهران: انتشارات علمي و فرهنگي.

٨. بهنام فر، محمد و روشان، حسن (١٣٩٨). بررسي تطبيقي مفهوم آزادي در انديشه مولانا و مكتب اومانيسم. فصلنامه پژوهش‌هاي ادبيات تطبيقي، دوره ٧، شماره ٤.

٩. تهانوي، محمد اعلي بن علي؛ عجم، رفيق؛ خالدي، عبد الله؛ دحروج، علي فريد و زيناتي، جورج (١٩٩٦م). كشاف اصطلاحات الفنون. بيروت: انتشارات مكتبة لبنان ناشرون. ج١.

١٠. جوادي آملي، عبدالله (١٣٧٢). ده مقاله پيرامون مبدأ و معاد. قم: انتشارات الزهراء.

١١. الحر العاملى، محمد بن الحسن (١٤١٤ق). هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام. مشهد، بي جا. چاپ اول.

١٢. حسني، علي (١٣٩٢). نقد و بررسي اومانيسم جديد. مجله معرفت فلسفي، دوره ١٠، شماره ٣.

١٣. دورانت، ويل (١٣٩٨). لذات فلسفه، مترجم: عباس زرياب خوئي. بي‌جا: انتشارات علمي و فرهنگي.

١٤. ديويس، توني (١٣٨٧). اومانيسم، مترجم: مخبر، عباس. تهران: نشر مركز. چاپ اول.

١٥. الراغب الأصفهانی، الحسين بن محمد (١٣٧٤). ترجمه و تحقيق مفردات الفاظ قرآن. تهران: انتشارات دار القلم. چاپ دوم. ج١.

١٦. رشيدي، بهروز (٢٠٠٩م). مقايسه تاريخي منزلت انسان در قرآن كريم و مكتب اومانيسم. مجله دانشنامه، دوره ٢، شماره ٣ (پاييز ١٣٨٨)، ص ١٢٩ - ١٤٣.

١٧. سبحاني، جعفر (١٣٨٧). جبر و اختيار. قم: مؤسسه امام صادق عليه‌السلام.

١٨. سيد هاشمي، سيد محمد اسماعيل و موسوي خو، سيدصفي اله (١٣٩٠). ارادة الهي و نسبت آن با اختيار انسان از ديدگاه امام خميني ره. مجله آينه معرفت، دوره ٩، شماره ٢٩.

١٩. صانع‌پور، مريم (١٣٧٨). نقدي بر معرفت‌شناسي اومانيستي. تهران: انتشارات موسسه فرهنگ واندیشه معاصر.

٢٠. صانع پور مريم (١٣٨٤). اومانيسم و حق گرايي. نشريه علوم سياسي، دوره ٨، شماره ٢٩.

٢١. صبحي الصالح (١٤٢٥ق). نهج البلاغه. بيروت: انتشارات دارالكتاب اللبناني، نامه ٣١.

٢٢. طاهري سلطاني، فاطمه و افشار كرماني، عزيزالله (١٣٩٨). اختيار انسان از منظر فخر رازي و محمدحسين طباطبايي. پژوهشنامه اماميه، دوره ٥، شماره ١٠، ص ١٧٨ -١٩٧.

٢٣. الطباطبايی، محمدحسين (١٣٧٤). ترجمه تفسير الميزان. قم: دفتر انتشارات اسلامی جامعه مدرسين حوزه علميه. چاپ پنجم. ج ٢ و ٢٠.

٢٤. فروغي، محمد علي (١٣٤٤). سير حكمت در اروپا. تهران: انتشارات كتابفروشي زوار. چاپ دوم. ج ١.

٢٥. العلامه الحلي، الحسن بن يوسف (١٣٩٩ق). كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، به كوشش: ابراهيم موسوي زنجاني. بيروت: الاعلمي للمطبوعات.

٢٦. مصباح يزدی، محمدتقی (١٣٩٣). انسان شناسي (معارف قرآن٣). قم: انتشارات مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی (قدس سره). چاپ هفتم.

٢٧. مصباح يزدي. (١٣٩٤). پاسخ استاد به جوانان پرسشگر. قم: انتشارات مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی ﷺ. چاپ نهم.

٢٨. مغنیه، محمدجواد (١٣٧٨). ترجمه تفسیر کاشف. قم: انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه. چاپ اول. ج ٧.

٢٩. ملاصدرا، محمد بن ابراهيم شيرازي (١٩٨١م). الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة. بي جا: دار احياء التراث.

٣٠. نصرت بیگم، امین (بي تا). تفسیر مخزن العرفان در علوم قرآن. بي جا: بي جا. چاپ اول. ج ٢.

٣١. نيك سرشت، پروين و طباطبايي، فاطمه (١٣٩٦). تحليل و بررسي پيامدهاي اومانيسم از ديدگاه علامه طباطبايي با تكيه بر تفسير الميزان. فصلنامه مطالعات قرآني، دوره ٨، شماره ٣٢، ص ٥٩ - ٩٤.

٣٢. يوسفي مقدم، محمدصادق و غرسبان، مرتضي (١٤٠١). آسيب‌شناسي مؤلفه‌هاي دين‌گريزي اومانيسم در تفكر ديني. فصلنامه نقد و نظر، دوره ٢٧، شماره ٣ (١٠٧پياپي)، ص ١٤٩ - ١٧٥.